إحكام المعنى في القرآن الكريم

إعـــــداد

د/ عبد اللّه علي الهتاري
قسم اللغة العربية. كلية الآداب والعلوم
جامعة قطر، ٢٧١٣ الدوحة، قطر

تـاريخ الاستلام : ٢٠٢١/٩/٩م
تـاريخ القبول : ٢٠٢١/٩/٢٠م

ملخص:

يتجلّى النص القرآني بأسلوبه البياني المعجز البليغ، ويتفنن غاية التفنن في التصرف بفن القول، ودقة سبك الألفاظ، في تراكيبه المختلفة وسياقاته المتنوعة.

وهو في ذلك كله يصيب المعنى المراد إصابة محكمة ويحتاط له احتياطا دقيقا، ويبرز هذا الإحكام في أنماط متعددة ومتنوعة، يعمد إليها النص القرآني، وهو مظهر من مظاهر الإعجاز المدهش في بيانه.

وهو ما يهدف إليه الباحث في الحديث عنه في هذا البحث، متناولاً بعض مظاهر هذا الإحكام وأشكاله المتنوعة، خصوصا ما يتعلق بجانب الحركة الإعرابية ودلالتها العميقة في إحكام المعنى مما يؤكد ارتباط الإعراب بالمعنى ارتباطا وثيقا في البيان العالي وأرقاه هو القرآن، وكذلك تناول البحث بعض مظاهرهذا الإحكام في التغاير بين الرتبة من تقديم وتأخير، وكذلك مايبرز واضحا في السياق القرآني ودوره في إحكام المعنى، وتغاير النظم في المتشابه اللفظي في القرآن، وغير ذلك من المظاهر المتنوعة والدقيقة التي تناولها البحث بالتحليل.

Abstract:

The Qur’anic text is manifested in its eloquent, miraculous rhetorical style, and it is very sophisticated in the art of saying, and the accuracy of casting words, in its different structures and various contexts.

In all of this, he strikes the meaning intended by a precise injury and takes careful precaution, and this judgment emerges in multiple and varied patterns, to which the Qur’anic text relies, and it is an aspect of the amazing miraculousness in its statement.

Which is what the researcher aims to talk about in this research, addressing some aspects of this judgment and its various forms, especially what is related to the aspect of the syntactic movement and its deep significance in tightening the meaning, which confirms the link of syntax with the meaning closely in the high statement and its finest is the Qur’an, as well as the research dealt with some aspects of this Precision in the variation between the rank of presenting and delaying, as well as what is clear in the Qur’anic context and its role in tightening the meaning, and the variation of systems in the verbal similarity in the Qur’an, and other diverse and accurate manifestations that the research analyzed

أولاً: معنى الإحكام والفرق بينه وبين الإتقان:

يقول ابن فارس: "حَكَمَ الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ. قَالَ جَرِيرٌ:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَتَقُولُ: حَكَّمْتُ فُلَانًا تَحْكِيمًا مَنَعْتُهُ عَمَّا يُرِيدُ".(١)

ويفرق أبو هلال العسكري بين الإحكام والإتقان فيرى:

"أَن إتقان الشَّيْء إِصْلَاحه وَأَصله من التقن وَهُوَ الترنوق الَّذِي يكون فِي المسيل أَو الْبِئْر وَهُوَ الطين المختلط بالحمأة يُؤْخَذ فيصلح بِهِ التأسيس وَغَيره فيسد خلله ويصلحه فَيُقَال أتقنه إِذا طلاه بالتقن ثمَّ اسْتعْمل فِي مَا يَصح مَعْرفَته فَيُقَال أتقنت كَذَا أَي عَرفته صَحِيحا كَأَنَّهُ لم يدع فِيهِ خللا، والإحكام إِيجَاد الْفِعْل محكما؛ وَلِهَذَا قَالَ الله تَعَالَى: (كتاب أحكمت آيَاته) أَي وجدت محكمَة وَلم يقل أتقنت، لِأَنَّهَا لم توجد وَبهَا خلل، ثمَّ سد خللها، وَحكى بَعضهم: أتقنت الْبَاب إِذا أصلحته(٢).

فيرى أَبُو هِلَال – رَحمَه الله تَعَالَى–: أنه لَا يُقَال أحكمته، إِلَّا إِذا ابتدأته محكما، وهذا تفريق حسن من أبي هلال للوقوف على الفروق اللغوية، فلا ترادف في القرآن الكريم، فإننا نجد القرآن يستخدم الفعل أتقن في سياق المشاهد المحسوس الذي يحتاج إلى إتقان صنعه، كما في قوله تعالى: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" النمل ٨٨.

وهذا في مقامات الخلق الذي يمر بمراحل التدرج في الخلق والإتقان، تدرجا وانتهاء، وأما الإحكام إيجاد الفعل محكما ابتداء، وآيات الله محكمة لأنها كلامه وبيانه الذي هو صفة من صفاته سبحانه، فالإحكام لآيات القرآن ابتداء ثم كان التفصيل لها انتهاء، وهو ماصرح به البيان القرآني المحكم في قوله تعالى: "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (هود ١).

ثانياً : بعض مظاهر الإحكام في البيان القرآني :

ومظاهر الإحكام في البيان القرآني المعجز متعددة ومتنوعة، يحسن الإشارة في هذا البحث إلى أبرزها في سياق الدرس اللغوي، على النحو الآتي:

١ـ الإعراب:

يمثل الإعراب مظهراً بارزاً من مظاهر الإحكام للمعنى في القرآن الكريم؛ "لأنه يبين عن المعاني ويكشف عنها، ولولاه لكان الكلام مبهماً غير مفهوم ولا معلوم"[٣]، والحديث في ذلك يطول، ونقتصر فيه على شواهد من النظم المعجز، من ذلك قوله تعالى: وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (آل عمران١٦٩).

فإننا نلاحظ أن كلمة (أمواتاً) جاءت منصوبة على أنها مفعول ثانٍ للفعل (تحسب)، ومن العجيب المدهش في هذا البيان مجيء كلمة (أحياءٌ) بعدها مباشرة مرفوعة، وكان المتوقع أن تكون منصوبة على اعتبار أنها جاءت معطوفة على (أمواتا)، لكن النظم عمد إلى الرفع دون النصب؛ احترازاً من توهم إعادة تقدير العامل وهو (بل أحسبهم أحياءً)[٤]، والسياق هنا سياق تأكيد وثبوت لا حسبان فيه ولا شك، فكان الرفع على تقدير (بل هم أحياءٌ) والجملة الاسمية تدل على ثبوت الوصف واستقراره واستمراره، وحياة الشهداء عند ربهم ثابتة لا شك فيها، مستقرة لا تبديل لها ومستمرة لا انقطاع فيها.

ومن ذلك ما نجده أيضاً، في متشابه النظم القرآني، إذ يعمد النظم إلى المخالفة في الحركة الإعرابية في موضعين متشابهين تمام التشابه، وما ذلك إلا لإحكام المعنى بالاحتراس من معنى غير مراد، كما في قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (النحل٢٤)، ثم يرد بعدها بآيات قلائل قوله تعالى : وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً (النحل٣٠).

إذ جاءت الحركة الإعرابية بالرفع في قول الكفار، على تقدير :- هي أساطيرُ الأولين، وهم منكرون لإنزالها أصلاً، ومنكرون أن مصدرها من الله عزوجل ؛ لذا لم يرد النصب هنا كما هو الحال في قول المؤمنين (قالوا خيرا) احترازاً من توهم في المعنى، أن يكونوا مقرّين للإنزال (أنزلَ أساطيرَ)، وهو ما تنبه له الزركشي بقوله[٥] : "لو طابقوا أي قالوا : أساطيرَ الأولين – بالنصب – لكانوا مُقِرين بالإنزال، وهم من الإذعان به على تفاوت".

وترد الحركة الإعرابية لدفع توهم التسوية عن فعلين متفاوتين؛ فيحتاط الإعراب لدلالة التفاضل احتياطا دقيقاً، وذلك في قوله تعالى: وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ (هود٦٩).

فقد جاء النصب في الأولى (سلاما) والرفع في الثانية (سلامٌ) ؛ لإظهار التفريق بين سلامين، سلام الملائكة وسلام النبي، وإبراز التفاوت بينهما في الرتبة والمكانة.

ولو سوَّى النظم بينهما في الحركة الإعرابية لاستوت رتبة الفعل في كليهما، لذا عمد إلى النصب هناك والرفع هنا ؛ للإشارة إلى أن تحية النبي كانت أبلغ من تحية الملائكة وأفضل منها؛ لدلالة الرفع في الجملة الاسمية على الثبوت والاستمرار، وتقديره (سلامٌ عليكم)[٦]، وهو مقال مناسب لمقام النبوة والرسالة، يفهم من وحي قوله تعالى: وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا (النساء٨٦).

ويرد الإعراب للاحتياط من دلالة التقييد إلى الإطلاق والعموم أو العكس، من ذلك قوله تعالى: لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ (آل عمران ١١١).

فإننا نجد الفعل (ينصرون) جاء مرفوعاً، وكان المتوقع عطفه على سابقه بالجزم، كما هو الحال في قوله تعالى: وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (محمد٣٨).

وإذا كان اللسان العربي يجيز في هذا السياق وأمثاله، حالة استيفاء أداة الشرط الجازمة لفعلها وجوابها، أن يعطف على جواب الشرط بالجزم أو الرفع كما هو مقرر عند النحاة(٧)، فإن النظم القرآني يعمد في هذا السياق إلى الرفع دون غيره من الخيارات الأسلوبية المتاحة لا على سبيل الجواز كما يزعمون وإنما على سبيل الوجوب؛ لاقتضاء المعنى له، إذ احترز النظم بهذا الإعراب عن معنى غير مرغوب فيه، فيما لو عطف على الجزم فقال: (ثم لا ينصروا) فيكون تقدير انتفاء النصر عن الكفار مقيداً بشرط قتالهم المسلمين وتوليتهم الأدبار؛ وهذا غير مراد، فاحترس منه النظم إلى الرفع على الاستئناف بتقدير (ثم هم لا ينصرون) ؛ لدلالة الجملة الاسمية على ثبوت الوصف واستمراره، فأفاد ذلك دلالة الإطلاق والعموم، وهي أن عدو المسلمين مخذول دائماً غير منصور، سواء أقاتلهم أم لم يقاتلهم، فهذا حاله على الدوام مخذول مهزوم.

وهو في سياق الآية الأخرى في قوله تعالى: (وإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد٣٨).

قد عطف على الجزم بقوله (يكونوا) لإدخال هذا الفعل ضمن قيد الشرط السابق، فالاستبدال والإتيان بقوم لا يكونون أمثالهم، مشروط بحالة تولّيهم عن منهج الله وإعراضهم عنه. فإذا استقاموا على الجادَّة فإنَّ ذلك لا يكون.

اللهم إنَّ هذا هو محزُّ البيان، ومفصل البلاغة من الكلام.

٢ـ التقديم والتأخير:

يتصرف النظم القرآني في فن القول من تقديم وتأخير لإحكام المعنى، من ذلك قوله تعالى : وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ (التوبة١٠١).

إذ كان المتوقع أن يعطف (من أهل المدينة) على (من الأعراب) لكي لا يفصل بين النعت الجملة (مردوا على النفاق) والمنعوت (منافقون)، فيكون النظم على نحو (وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق) ولو جاء ذلك كذلك "لفهم منه أن أهل المدينة ممن حولهم، وواقع الحال ليس كذلك فهم بينهم، وليسوا حولهم ؛ لأنهم يساكنونهم ويخالطونهم" [٨]، فاحترس النظم المعجز البديع من ذلك بمجيء الكلام على النحو المذكور.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) (غافر٢٨).

فقد عمد النظم القرآني إلى تقديم الوصف بشبه الجملة (من آل فرعون) للدلالة على وصف هذا الرجل أنه من آل فرعون وخاصته، ولو أن النظم أخرها بعد الجملة الفعلية فقال : (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) لأوهم ذلك أن شبه الجملة متعلق بالفعل (يكتم)، وأنَّه يكتم إيمانه من آل فرعون، وليس فيه دلالة على كونه من آل فرعون أصلاً، فجاء التقديم لإحكام هذا المعنى.

والقرآن دقيق بهذا النظم؛ لأنه لا يطَّلع على الحوار الخاص بفرعون وملئه إلا رجل من آلهم وخاصتهم.

وعجباً للدكتور تمام حسان على جلالة قدره حين ذهب إلى أن الأسلوب القرآني في هذه الآية اختار التقديم والتأخير لأجل مبدأ القصر والطول للكلمة، فقال[٩] : "وجاء بثلاث صفاتٍ للرجل رتبها حسب القصر والطول، فجعل الصفة الأولى "مؤمن" أولاً

لإفرادها، وأردفها بشبه الجملة فالجملة" ؛ والحقيقة أن النظم القرآني لا يقدم ولا يؤخر إلا لمقصد دلالي، لا لأجل القصر والطول في البنية والشكل، كما أوضحناه، بدليل أنه قد جاء تقديم النعت بالجملة على النعت بالإفراد في قوله تعالى : وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ (الأنعام٩٢).

ومن ذلك أيضاً الآية التي وقف عندها الجرجاني كثيراً[١٠]، وهي قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) (الأنعام١٠٠).

فقد تصرف النظم القرآني في رتب الألفاظ في هذه الآية غاية التصرف مما يثير الدهشة والذهول، إذ كان المتوقع أن ترد هذه الآية على نحو (وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ)، فيقدم المفعول به الأول (الجنَّ) ثم المفعول الثاني (شركاءَ) ثم يأتي أخيراً بشبه الجملة (لله)، لكن العجيب في النظم أنه عكس الجملة تماماً، فجاءت (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) ؛ وذلك لإحكام المعنى، إذ لو جاء النظم على المتوقع (وجعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ) لكان الاعتراض متجهاً إلى كونهم جعلوا الجنَّ شركاء لله دون غيرهم، ولو جعلوا غير الجن لكان مسكوتاً عنه، وهذا غير مراد ؛ لذا جاء النظم (وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ) ليوجه الاعتراض إلى كونهم جعلوا للهِ على وجه الخصوص شركاء، وحقه – عزوجل – ألا يكون له شريك لا من الجنِّ ولا من غيرهم.

٣ـ الجملة الاعتراضية :

"وهي الجملة التي تعترض بين شيئين متلازمين، أو متطالبين، لتوكيد الكلام، أو توضيحه، أو تحسينه، وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت بين جزأيه، وليست معمولة لشيء منه" [١١].

والذي يحسن ذكره هنا أن الجملة المعترضة قد تقع بين متلازمين في الجملة الواحدة، كأن تقع بين المبتدأ والخبر، أو النعت ومنعوته، والموصول وصلته وهكذا، وقد تقع بين جملتين مستقلتين تمام الاستقلال، إلا أنَّ بينهما رابطاً معنوياً من روابط الكلام[١٢].

وهي في ذلك كله لها علاقة معنوية ودلالية في سياق الكلام الذي ترد فيه، لإحكام المعنى في كل السياقات القرآنية الواردة فيها.

من ذلك قوله تعالى : (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (المنافقون١).

" فجملة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) معترضة بين الجملتين المتعاطفتين، وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع جملة (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) أنه تكذيب لجملة (إنك لرسول الله) ".[١٣]

فالتعبير هنا "من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه، فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين، ولولا هذا التحفظ؛ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة، وليس هذا هو المقصود، إنما المقصود تكذيب إقرارهم، فهم لا يقرون الرسالة حقاً، ولا يشهدون بها خالصي الضمير."[١٤]

ومنه قوله تعالى – على لسان امرأة عمران – (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) (آل عمران٣٦).

فجملة – والله أعلم بما وضعت – اعتراضية، من تعقيب المولى – عزوجل – على قولها، إذ جاء قولها بالتوكيد (إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى) من قبيل البوح النفسي والمناجاة؛ لمفاجأتها بمجيء المولود أنثى، وقد كانت ترجوه ذكراً ؛ ليقوم بأمور العبادة، والمخاطب هو المولى – عزوجل – وهو يعلم ما وضعت، فنقل القرآن قولها واحترز له.

ومن ذلك قوله تعالى – في سياق تحدي الكفار أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن – (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة ٢٤).

فجملة (ولن تفعلوا) اعتراضية جاءت بين متلازمين هما الشرط وجوابه، وتقدير الكلام (فإن لم تفعلوا فاتقوا النار)، ولو جاء النظم على هذا النحو؛ لفهم منه أنهم قد

عجزوا عن الإتيان بمثله فيما مضى من الزمان، لكن ذلك لا يمنع في مستقبل الأيام، فجاءت الجملة الاعتراضية لتحكم المعنى بمنع معنى غير مراد؛ ولتقرر عجزهم على مرور الزمان.

٤ـ المغايرة في الاستعمال :

ويعمد النظم القرآني في سياقاته المتشابهة أحياناً إلى المغايرة في اللفظ ؛ وذلك للابتعاد عما قد توحيه الكلمة من معنى غير مناسب.

من ذلك ما نجده في قوله تعالى في الحديث عن زكريا – (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران٤٠).

وفي سياق مشابه لهذه الآية تماماً عند حديثه عن مريم في السورة نفسها، يقول المولى – عز وجل:– (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران٤٧).

فنلاحظ أن النظم القرآني عبر في سياق الحديث عن زكريا بقوله (يفعلُ ما يشاء) وفي سياق الحديث عن مريم قال: (يخلقُ ما يشاء) ؛ وذلك لأن " لفظ (يفعل) لا يناسب أن تخاطب به الأنثى؛ لما تحمله الكلمة من إشارات غير مناسبة، وإيحاءات ممجوجة"[١٥].

ومن ذلك ما يرد في النظم القرآني من مغايرة في الضمائر، وهو ما أسماه علماء البلاغة قديماً بالالتفات [١٦]، وقد ذكروا له وظائف دلالية كثيرة، كلها تبرز إحكام المعنى، وهو ما نجده مثلا في قوله تعالى: (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (الحجر٦).

فقد جاء النظم بضمير الغيبة في قوله: (عليه) ، ثم تحول عنه إلى ضمير الخطاب فقال: (إنَّك)، ولم يُسَوِّ النظم بينهما؛ وذلك أن المغايرة في الضميرين في هذا

السياق تشير إلى المغايرة بين قضيتين، قضية أنهم غير مقرَّين له بإنزال الذكر عليه أصلاً، وإنما قالوا ذلك على سبيل التهكم والسخرية فغيبوه في الخطاب ؛ إمعاناً في تغييب هذا الأمر عن أذهانهم،وقضية أنهم يؤكدون أنه مجنون (إنّك لمجنون) فخاطبوه به مباشرة، فاحترس النظم من التسوية بين الضميرين، ولو سوَّى بينهما في هذا السياق في الغيبة أو الخطاب لما استقام هذا المعنى.

ويتصرف النظم القرآني أيضاً في صيغ الأفعال فيغاير بينها، بالتحول من صيغة الماضي إلى المضارع أو العكس؛ للوصول من ذلك إلى إحكام المعنى، كما في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ) (الكهف٤٧).

إذ كان المتوقع أن تنتظم الأفعال في مجيئها بصيغة واحدة، فتكون (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ، وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً، وَنحشُرهُمْ)، فتكون صيغ الأفعال دالة على المضارع في جميعها (نسير – ترى – نحشر)، لكن النظم البديع عمد إلى التحول عند فعل الحشر إلى صيغة الماضي، فقال (وحشرناهم)؛ "ليشير إلى أن حشرهم سابق لتسيير الجبال وبروز الأرض، أي :- وحشرناهم قبل ذلك ؛ليشاهدوا تلك الأهوال، وذلك أوقع في النفوس."[١٧].

٥ـ السياق:

يعد السياق اللغوي في النص القرآني من أبرز وسائل إبراز المعنى وإحكامه، والبحث فيه يطول، ونقتصر هنا على أبرز وظائفه الدلالية لإحكام المعنى، من ذلك أنه يحدد الدلالة المقصودة للأدوات النحوية المتعددة الدلالات،كما في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يس٣٥.

إذ تحتمل الأداة (ما) في هذه الآية أن تكون دالة على الموصولية، بمعنى (الذي) ويكون المعنى حينئذ (ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم) وتحتمل أن

تكون نافية فيصبح المعنى (ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم) لكن السياق احتاط للمعنى الثاني وقصد إلى (ما) النافية دون غيرها بقوله :- (أفلا يشكرون) ؛ " لأن من يأكل طعاماً لم يصنعه بيده أولى بأن يعبر عن شكره لمن أطعمه، ممن يأكل طعاماً صنعه بنفسه "[١٨].

ومنه أيضا الآية التي وقف عندها المفسرون كثيراً ؛[١٩] لأن القرآن ذكر فيها شيئاً من البدهيات، والبدهيات لا تذكر غالباً في الكلام، وهي قوله تعالى :(فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) البقرة١٩٦

فإن (إذا) تحتمل هنا معنى الشرط فيكون المعنى، إذا كان الصيام في الحج فثلاثة أيام، وإذا كان بعد الرجوع فسبعة، وتحتمل أيضاً – الظرفية؛ فيكون المعنى: صوموا ثلاثة أيام في الحج وسبعة عند رجوعكم، فأحكم النظم القرآني هذا المعنى الأخير بقوله :- (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) فمحَّص (إذا) للدلالة على الظرفية [٢٠].

ويرد السياق وسيلة من وسائل الكشف عن المعنى وإحكامه، وذلك من خلال الوقوف على تقدير المحذوف المناسب لسياق النظم القرآني.

كما في قوله تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام ١٠٨).

فالذي " لا يفطن لدواعي الحذف في هذه الآية يظن أن المعنى ولا تسبُّوا الكفار الذين يدعون آلهة من دون اللهِ فيسبُّوا اللهَ عدواً بغير علم، لكن هذا التقدير يهمل عنصر التقابل الذي ينبغي أن يكون بين طرفي السَّب، ولو طبقنا مبدأ التقابل هنا لكان جواب النهي بحسب هذا الفهم (فيسبُّوكم)، أما الفهم الصحيح فإنه يستدعي تقدير ضمير يعود على (الذين) أي : على آلهتهم، والتقدير:-(لا تسبُّوا الذين يدعونهم من دون الله فيسبوا الله) "[٢١].

ويكون السياق عنصراً مهماً للاحتياط للمعنى في حالة اللبس في الإعراب، من ذلك الآية التي اعترض في تقدير إعرابها الإمام الجرجاني على معربي القرآن ، وهي قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ) (النساء ١٧١).

فقد ذهب معربوا القرآن[٢٢] إلى جعل (ثلاثة) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (آلهتنا)، واعترض عليهم الجرجاني بقوله: [٢٣] " فإذا قلنا :- (ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة)، كنا قد نفينا أن تكون عِدَّة الآلهة ثلاثة، ولم ننف أن تكون آلهة – جل الله عن الشريك والنظير – كما أنَّك إذا قلت : (ليس أمراؤنا ثلاثة)، كنت قد نفيت أن تكون عِدَّة الأمراء ثلاثة، ولم تنف أن يكون لكم أمراء، هذا ما لا شبهة فيه، وإذا أدَّى هذا التقدير إلى هذا الفساد، وجب أن يعدل عنه إلى غيره".

ويظهر للباحث – والله أعلم – أن اعتراض الجرجاني هنا ليس في محلِّه ؛ لأن السياق القرآني قد احترس من هذا المعنى الموهم بقوله في سياق الآية نفسها (إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ) ، فنفى المعنى الموهم من التَّعدد بالقصر بقوله (إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ) ، وهذا إحكام بديع ملفوظ؛ يصرف المعنى الموهم الملحوظ.

٦ـ الفاصلة:

ترد الفاصلة وهي أواخر الآي ، مرتبطة كل الارتباط بمعنى الآية، فالقرآن في نظمه البديع لا يراعي الجمال الصوتي في إيقاعه الرَّخي فحسب ، وإنَّما يراعي أيضاً المعنى والدلالة المقصودة التي من أجلها ختمت الآية بهذه الفاصلة أو تلك.

لذلك نجد أن الفاصلة القرآنية تمثل مظهرا من مظاهر إحكام المعنى في القرآن الكريم، ولا يسدَّ مسدَّها غيرها، إذ يختل معنى الآية ولا يستقيم؛ لو غيرَّنا فاصلة بأخرى.

وهو ما أدركه أعرابي بفطرته اللغوية ، فقد ذكر الجاحظ[٢٤] " أن أعرابياً في عهد عمر بن الخطاب – – سمع رجلاً يقرأ : فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ

فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غفور رحيم، فقال الأعرابي: إن كان هذا كلام الله فلا يقول: كذا حكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه" وكانت خاتمة الآية فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة٢٠٩).

ومن بديع الفواصل في ذلك قوله تعالى : وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة٣٨).

نلاحظ أن الفاصلة القرآنية هنا ختمت بقوله (عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ، ويعلل الزركشي ذلك بقوله:- [٢٥] " فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ، من قولهم : عَزَّه يعزه عِزًّا ، إذا غلبه ، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ؛ لأن الحكيم يضع الشيء في محله ، فالله كذلك ، إلا أنه قد يخفى وجه الحِكم في بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحِكم ، فكان الوصف بالحِكم احتراس حكم".

وقصد الزركشي بالاحتراس هنا ما قد يتوهمه بعض ضعفاء النفوس، وسقيمي الأفهام من المغرضين والمشككين في أوامر الله وأحكامه، أن هذه العقوبات فيها شِدَّة وقسوة وتخفى عليهم الحكمة، فجاءت الفاصلة (عزيز حكيم)، فهو عزيز غالب في أحكامه، وحكيم يضع أحكامه في مواضعها بحكمة متناهية، قد تظهر للأذهان، وتخفي على ضعيفي الأفهام.

ولا يمكن في هذا السياق أن يسدَّ مسدَّ هذه الفاصلة غيرها، وإذا تعسفنا ذلك حصل الوهم والخطأ واختلَّ المعنى، وقد ذكر بعض المفسرين[٢٦] " أن الأصمعي قال: كنت أقرأ :- (والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسَبا، نكالاً من اللهِ واللهُ غفور رحيم)، وبجواري أعرابي، فقال : كلام من هذا ؟ فقلت: كلام الله، قال: ليس هذا كلام الله، فانتبهت فقرأت :-(واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)، فقال: أصبت هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن ؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت؟ قال: يا هذا عزَّ فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع".

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً (الأحزاب٢٥).

فقد جاءت الفاصلة (قوياً عزيزا) " لأن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا، وأن ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزَّة ليعلَّم المؤمنين، ويزيدهم يقينا وإيماناً على أنه الغالب الممتنع، وأنَّ حزبه كذلك، وأن تلك الريح التي هبَّت ليست اتفاقاً، بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه".[٢٧]

ومن الفواصل التي جاءت في القرآن لإحكام المعنى، وقد عدَّها الزركشي والسيوطي[٢٨] من مشكلات الفواصل قوله تعالى – في سياق الحديث على لسان عيسى في حديثه عن قومه الذين أشركوا بالله – (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المائدة١١٨).

فإن قوله (وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ) يوهم أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم) لكن النظم القرآني عمد إلى الفاصلة (العزيز الحكيم) دون غيرها ؛ للاحتراز للمعنى، ذلك " أن العفو عن المستحق للعذاب العظيم، قد يكون عن عجز وضعف، لا عن استطاعة وقدرة، أو قد يكون عن سوء تدبير وتقدير، أو عن كليهما، فلو قال : (فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ؛ لما دفع هذين الوصفين عنه، فإن الغافر الرَّاحم قد يكون إنما يفعل ذلك لضعفه، أو لسوء تدبيره، فقال : (فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ليدفع ذلك عنه؛ وليقول : إنه إن عفا وغفر فعن كمال العزَّة والقدرة، وعن غاية الحكمة والتدبير" [٢٩].

ويظهر للباحث أيضاً أن الفاصلة لو جاءت (الغَفُورُ الرَّحيم) لأوهم ذلك أن عيسى يستعطف – المولى عزوجل – العفو عن قومه الكافرين، وذلك باستحضار معنى الوصفين (الغَفُورُ الرَّحيم)، وهذا غير مراد قطعاً؛ لذا كانت الآية محكمة من كل وجه في النظم بمجيء الفاصلة على النحو المذكور دون غيرها.

الخروج عن الظاهر لإحكام المعنى :

ومع أن القرآن الكريم يعمد في نظمه الرفيع إلى إحكام المعنى، والاحتياط له، إلا أننا نتفاجأ بمجيء عبارات فيه ظاهرها موهم، وتخرج في ظاهرها عن الاحتياط للمعنى، وهذا يدعو إلى إمعان النظر فيها وإنعام الفكر ؛ للوقوف على دقائق التعبير فيها. "وهذا غير ميسور من النظرة العجلى، بل لا بد لإدراكها من قدح زناد الفكر، وإعمال الذهن، وإدامة النظر، وإرهاف الحس"[٣٠].

والمتذوق للبيان "لا يجد متعة نفسه في الكلام الواضح المكشوف، وإنما يجدها حيث يتحرك حسُّه وينشط ؛ ليستوضح ويتبيَّن، ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز، وحين يدرك مراده، ويقع على طلبته من المعنى يكون ذلك أمكن في نفسه، وأملك لها من المعاني التي يجدها مبذولة في ظاهر الألفاظ"[٣١]

من ذلك قوله تعالى : وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ النساء١٢٧.

فإن العجيب في هذا النظم مجيء قوله (وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ) فالفعل (رَغِبَ) حقُّه أن يقترن بحرف الجر ليُفهم معناه، فهو يقترن بـ (في)، (رغب في) للدلالة على طلب الشيء، ويقترن بـ (عن) ؛ للدلالة على الانصراف عن الشيء (رغب عن)، وقد تقرر عند النحاة أنه لا يجوز حذف حرف الجر عند اللبس، كما هو الحال في هذا السياق، يقول ابن عقيل[٣٢]: "فإن لم يتعين الحرف لم يجز الحذف نحو : (رغبت في زيد)، فلا يجوز حذف (في)؛ لأنه لا يدرى حينئذ هل التقدير (رغبت عن زيد) أو (في زيد)".

وعند إنعام الفكر وإمعان النظر في سياق الآية يتضح " أن اللَّبس هنا مؤشر أسلوبي مقصود ؛ لأن اليتيمة الغنية لا يخلو إما أن تكون جميلة فيرغب وليُّها في زواجها والاستئثار بمالها فيكون المعنى (رغب في)، وإما أن تكون قبيحة فيرغب عن

زواجها، ولكنه يعضلها بمنعها عن الزواج ليستمتع بمالها فيكون المعنى (رغب عن)، فالمال مطلب للولي في الحالتين، سواء صاحبه الزواج بالجميلة أم الرفض للقبيحة"[٣٣]؛ لذا جاء التعبير على هذا النحو (وترغبونَ أنْ تَنْكِحُوُهنَّ) ليجمع الدلالتين معاً (رغب في ورغب عن) وهذا من بديع الإيجاز في اللفظ، والاتساع في المعنى؛ ليوافق المقال مقتضى الحال، وهذا غاية الدقة في النظم والإحكام.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا) (الأعراف١٥٥).

فالفعل (اختار) يقترن بحرف الجر (مِنْ)، وحذف حرف الجر هنا مُلبس في تحديد موقعه، وخارج في ظاهره عن الإحكام؛ لأنه لا يعرف هل هو (اختار موسى من قومه سبعين رجلاً) أو (اختار موسى قومه من سبعين رجلاً).

والنحاة لا يجيزون في مثل هذا السياق حذف حرف الجر للإلباس، يقول ابن عقيل[٣٤]: "وكذلك إن لم يتعين مكان الحذف لم يجز، نحو : (اخترت القوم من بني تميم) فلا يجوز الحذف : فلا تقول : (اخترتُ القومَ بني تميم) ؛ إذ لا يدرى هل الأصل: (اخترتُ القومَ من بني تميم) أو (اخترتُ من القومِ بني تميم) ".

لكن النظم القرآني رفيع المستوى، عميق في هذا التعبير، وقصد إليه قصداً، فكأن القرآن يشير إلى أن الاختيار تمَّ وفق مرحلتين، الأولى اختار موسى من قومه سبعين رجلاً، ثم كانت المرحلة الثانية إذ صار قومَه هؤلاء السبعون، وفي ذلك إشارة إلى قلة الصالحين في بني إسرائيل، وكثرة لددهم وعدم الانصياع ؛"فإسقاط حرف الجر قصد منه النعي على بني إسرائيل، لكثرة تمرُّدهم وعصيانهم، ودوام مخالفتهم لنبيهَّم، حتى كأنَّه لم يجد فيهم خياراً غير هؤلاء السبعين، فهم القوم كل القوم في ميزان الطاعة والصلاح، وفي ذلك ما فيه من التلميح بكثرة العاصين،وقلَّة الصالحين فيهم"[٣٥].

وقد يرد أيضا ما ظاهره الإبهام في رتب الكلام، ويحتاج إلى مزيد نظر لمعرفة الإحكام في البيان، من ذلك قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان٤٣).

فإن ظاهر نظم الآية مشكل في المعنى، لجواز أن يجعل المؤمن إلهه هواه، أي : محبوبه، فالمحبوب يمكن أن يسمى "هوى" للمحب، كما قال عروة بن أذينة:[٣٦]

إنَّ التي زَعَمتْ فؤَادَك مَلَّها خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها

وهذا لا غبار عليه ولا اعتراض، لكن السياق في الآية سياق ذم لمن هذا حاله، فقد وصفه المولى – عزوجل – بالضلال في موضع آخر فقال تعالى :(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) (الجاثية٢٣).

وعندما نمعن النظر بعمق في تحديد رتب الكلام، نجد أن النظم على نحو (اتّخذ هواه إلهه)، ففي النظم تقديم وتأخير، وعليه نعرب (هواه) مفعولاً أولاً للفعل (اتَّخذ) لزاماً، وعلَّة التقديم "لأجل الحصر، فكأنه قال: (أرأيتَ من لم يتخذ معبودَه إلا هواه) فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه".[٣٧]

وقد يرد النظم في ظاهره لبس وخروج عن الإحكام بسبب مجيء قيد أو وصف ليس مقصوداً بعينه في المقال، وإنما هو وصف زائد يفهم من سياق الحال.

من ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنا) (النور٣٣).

فقد تقرر في الشرع الحكيم أن البغاء محرم مطلقاً، سواء أرادت الفتاة التحصن أم لم ترده، وعليه فإن الشرط في قوله (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) ليس قيداً على حقيقته في نظم الكلام، وإنما يفهم من سياق الحال الذي نزلت فيه الآية، وذلك "أنها نزلت في قوم كانوا يُكرهون إماءهم على البغاء، وهنَّ يردن التحصن والعفاف، فهو وصف لحالهم،

وفيه تبشيع وزجر لهم، إذ كانت إماؤهم أفضل منهم في التعفف، وهم يرغمونهنَّ على الفحشاء"[٣٨].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) آل عمران١٣٠.

فالإسلام قد حرَّم الرِّبا مطلقاً كثيره وقليله، وجاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (البقرة٢٧٨).

لكن ظاهر النظم يشعر بقوله (أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) أنه قد نهى عن الرِّبا الفاحش الكثير، وهذا غير مراد.

وعليه فالحال في قوله: (أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) ليست وصفاً مقيِّداً، وإنما هي وصف يفهم من سياق الحال عند نزول القرآن، يقول أبو السعود[٣٩]: " (أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك،

إذ كان الرجل يربي إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل، قال للمدين :- زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل".

الخاتمة:

مما سبق ذكره يمكننا الوصول إلى النتائج الآتية:-

١- ظاهرة إحكام المعنى في البيان القرآني، هي أبرز الظواهر في دراسة المعنى القرآني؛ لأنه النص البياني المعجز الدقيق في استعمالاته اللغوية.

٢- أن التراكيب النحوية بمختلف أشكالها يتم تشكيلها وفقاً للمعنى المقصود منها، وأنه لا يخلو تركيب من معنى مراد.

٣- دراسة المعنى في أدق صورها وأعمقها تتضح من خلال دراسة النص القرآني، لأنه نص محكم دقيق مقصود في اختياراته للتراكيب والألفاظ بعناية.

٤- تتسع دراسات إحكام المعنى في القرآن الكريم لتشمل موضوعات كثيرة، ويوصي الباحث بإفراد دراسات مستقلة لها، منها دراسة مظاهر إحكام المعنى من الوجهة البيانية في الصور والتشبيهات والمجاز، وكذلك في الجوانب الصرفية من صيغ ومشتقات، وكذلك في تعدد القراءات القرآنية، وفي دقة اختيار المفردات والألفاظ.

٥- أن التعبير القرآني دقيق في أسلوبه البياني، وأن ما يظهر للمتلقي أنه خروج عن ما يقتضيه ظاهر المعنى في بعض عباراته، هو في حقيقة أمره عند التحقيق والنظر الإحكام للمعنى بعينه.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – ١٩٧٩م. ٩١/٢

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)

حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ٢١٢/١

(٣) د. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٤) انظر : جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، ١٩٧٧، ٤٣٩/١.

(٥) بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٤/٤.

(٦) انظر :– جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ٤٨/١، ود. سمير شريف استيتية، منازل الرؤيا منهج تكاملي في قراءة النص، دار الأوائل، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

(٧) انظر : جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، ط٢، بيروت، د.ت، ص٢٥٥. وبهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م، ٢٤٦/٢.

(٨) انظر : د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٧٨.

(٩) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص٩٩.

(١٠) انظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود شاكر، مطبعة المدني، ط٣، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

(١١) د. فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، ط٥، سوريا، ١٩٨٩م، ص ٦٧.

(١٢) انظر : جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ت : مازن المبارك، دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥١٤.

(١٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ٩٣/١٥.

(١٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٢٢، ١٩٩٤، ٣٥٧٤/٦.

(١٥) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ٣٢٣.

(١٦) انظر : ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، دار الرفاعي، ط٢، الرياض، ١٩٨٣م، ١٨١/٢–١٨٣.

(١٧) انظر :– الزمخشري، الكشاف، ٤٨٧/٢.

(١٨) د. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٨٦.

(١٩) انظر :– الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢، ٤٩٩/١ – ٥١٠، ومحمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت، ٣٢٨/١– ٣٦٢.

(٢٠) انظر :– أحمد ميقري الأهدل، البرهان في إعراب آيات القرآن، ت : د.حسن الأهدل، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م، ١٩٠/١، و د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص٤٠٤.

(٢١) د.تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص٢٠٥.

(٢٢) انظر :– أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ت : علي البجاوي، إحياء الكتب، بيروت، ٢٠٤/١، ومكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ت : حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ٢١٤/١.

(٢٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٣٧٩.

(٢٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، ١٤٠١هـ، ٢٦٩/٢.

(٢٥) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٨٩/١.

(٢٦) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢٦/٢.

(٢٧) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٧٠/١.

(٢٨) انظر :– بدر الدين الزركشي، البرهان ٧٥/١، وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصطفى الحلبي، ط٣، ١٩٥١، ١٠٣/٢.

(٢٩) د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، ط٣، الأردن، ٢٠٠٣، ص ٧٨.

(٣٠) د. يوسف الأنصاري، من أسرار نزع الخافض في القرآن، مجلة جامعة أم القرى، ج١٦، ع ٢٨، ١٤٢٤هـ، ص٧٢٣.

(٣١) د. محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ط٤، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٦م، ص ١٥٤.

(٣٢) بهاء الدين ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٤٨٨/١.

(٣٣) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ٤٢٨.

(٣٤) بهاء الدين ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٤٨٨/١ – ٤٨٩.

(٣٥) د. محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣٣٦.

(٣٦) انظر :- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : د. يوسف الطويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧، ٢٣٠/٢.

(٣٧) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، د.ت، ٣٥٨/٩، وانظر : د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص ٤٣٩.

(٣٨) انظر :- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار المصحف، القاهرة، د.ت، ٤٥/٥. ود. عبده زايد، عكس الظاهر في ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٠١.

(٣٩) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤٥٤/١.